

الحلقة الأولى

سلسلة رمز وحقيقة

برنامج أنوار كاشفة

نتائج سقوط الإنسان

يتساءل الكثيرون إذا كان المخلص يسوع المسيح قد أتى، ودون لنا تلاميذه ورسله الأوائل في أسفار العهد الجديد كل ما يتعلق به وبالمسيحية، فلماذا نقرأ العهد القديم من الكتاب المقدس؟

إنه بالحق تساؤل هام ، فلقد أعلن المخلص المسيح خلاص الله للبشر جميعا ، وبدأ عهدا جديدا بين الله تعالى والإنسان ، فلماذا يجب أن نقرأ أسفار العهد القديم التي إنتهت مدتها ولم يعد لها نفعنا في وقتنا الحاضر ؟

لكن قبل أن نجيب عن هذا السؤال علينا أن نوضح للإخوة المستمعين أولا ماهي أسفار أو كتب العهد القديم من الكتاب المقدس ؟ ولماذا أطلق عليها اسم العهد القديم؟

يبلغ عدد أسفار العهد القديم تسعة وثلاثين سفرا ، هي كتب التوراة الخمسة ، والكتب التاريخية ، وكتب الحكمة والأدب ، وأخيرا الكتب النبوية . وسميت بالعهد القديم لأنها دونت قبل مجيء المخلص يسوع المسيح. يبدو واضحا إذن أن أسفار العهد القديم أوحى بها قبل مجيء المخلص المسيح ، ولا علاقة لها مباشرة بالمسيحية . فلماذا يقدر المسيحيون هذه الأسفار ويعتبرونها جزءا لا يتجزأ من كتابهم المقدس ؟

صحيح أن أسفار العهد القديم لا علاقة لها مباشرة بالمسيحية ، لكنها تدون لنا تاريخ علاقة الله مع الإنسان . وتكشف في نفس الوقت عن طريق الإعلانات والرموز والنبؤات عن مجيء المخلص المسيح . أي يوجد هناك كما شبهه البعض بخيط رفيع يربط بين أسفار العهد القديم وأسفار العهد الجديد والمسيحية. وهذا الخيط الرفيع هو الذي جعل المسيحيون يقدرسون أسفار العهد القديم، ويعتبرونها جزءا من كتابهم المقدس. ولهذا يجب علينا أن نقرأ أسفار العهد القديم ، لكي نعرف عن الله وصفاته ، وندرس عن الإعلانات والرموز والنبؤات التي أشارت إلى المخلص المسيح ، وزمن المسيحية ، أي عصر ملكوت الله .

لا بد لنا من العودة إذن إلى أسفار العهد القديم ، ونحاول الكشف عن هذا الخيط الرفيع الذي يربط بين أسفار العهدين القديم والجديد من الكتاب المقدس . لكن من أين نبدأ ؟

لعل أفضل شيء هو أن نعود إلى فجر التاريخ ، وإلى أول سفر في العهد القديم ، الذي هو سفر التكوين . أي إلى الزمن الذي خلق فيه الله أبونا الأولين آدم وحواء . إن الحقيقة الأولى التي نكتشفها من هذا السفر ، هي أن الله خلق الإنسان على صورته كشبهه . (تكوين ١: ٢٦ و ٢٧) فماذا قصد الوحي المقدس بقوله أن الله خلق الإنسان على صورته كشبهه؟

طبعاً ليس المقصود بهذا التعبير أن الله خلق الإنسان على صورته وشبهه من الناحية الجسمانية، لأن الله الخالق لا جسم ولا شكل معين له، إذ هو روح. ولا نستطيع وصفه بأية هيئة مادية . إذن إن المقصود بهذا التعبير هو أن الله خلق الإنسان على صورته وشبهه من الناحية المعنوية. إذ وضع فيه روحاً عاقلة تمكنه من تسيير أموره بكل وعي وإدراك ، على عكس الحيوان . أي وضع الله في الإنسان العقل الذي يحتوي على ملكة الذكاء والقدرة على التعبير والفهم والإدراك . وبذلك ميّز الله الإنسان بقدرته على نهل المزيد من المعرفة والاكتشاف والإبداع . وأعطى الله الإنسان حرية الإرادة ، لكي يختار بين الخير والشر، وبين إطاعة وصايا الله أو رفضها . وأوجد الله في الإنسان الضمير الذي هو قبس منه تعالى. هذا الضمير الحساس الذي يعطي الإنسان القدرة على التمييز بين الخير والشر ، وبين ما هو صالح وما هو ضار بالنسبة له. ويُشعر الإنسان بالذنب عند ارتكابه له .

ولعل أهم من كل تلك الخصائص أن الله أراد أن تكون له علاقة حميمة مع الإنسان ، تسودها المودة والوثاق ويستطيع من خلالها الإنسان أن يعبد الله بملء حريته وإرادته . ووضع الله الإنسان في جنة عدن . أي في المكان الذي يستطيع فيه الإنسان أن يعبد الله ويعيش متمتعاً بالسعادة والفرح والسلام . لكن هل حافظ الإنسان يا ترى على هذه الصورة الجميلة والحياة السعيدة التي أراد الله خالقه أن يعيش ويستمر فيها ؟

أجل هل حافظ الإنسان على هذه الصورة الجميلة التي أراد الله خالقه أن يعيش فيها ؟ مع الأسف نقول كلا . إذ عصى الإنسان وصية الله ودخلت الخطية التي أفسدت حياته . نعم ، لقد عصى كل من آدم وحواء وصية الله ، وأكلا من ثمر الشجرة التي أوصاهما الله أن لا يأكلا منها. ولقد حصل هذا نتيجة إغواء الحية ، التي تشير إلى إبليس الشيطان، إغوائها لأدنا حواء. ونجد أن أول أمر حصل لأدم وحواء بعد عصيانهما ودخول الخطية حياتهما ، أنه انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان . وعندها خاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر . (راجع تكوين ٣: ١-٧)

ويخبرنا الوحي المقدس أن آدم وحواء سمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة ، فاختراباً من وجه الرب في وسط شجر الجنة . فنادى الرب الإله آدم وقال له : أين أنت ؟ فأجابه آدم : سمعت صوتك فاختراباً لأنني عريان . فقال له الله من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها . فأجابه آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت . فقال الرب الإله للمرأة : ما هذا الذي فعلت ؟ فأجابت المرأة : الحية غرتني فأكلت . (تكوين ٣: ٨-١٣)

يبرز أمامنا هنا أمر واضح ، وهو أنه نتيجة عصيان آدم وحواء لأوامر الله ، صاروا يخشيان الله ويحاولان الإختباء والهروب منه . أي وجدا أنفسهما في وضع معكوس تماما . فبعد أن كانا يتمتعان بالشركة الحلوة ، والعلاقة الوطيدة مع الله ، إذا بهما يكتشفان وبعد سقوطهما في العصيان ، أنهما اصبحا بعيدين عن الله لا بل في حالة عدااء معه .

لقد كانت عندهما حرية الإختيار ، وللأسف اختارا عصيان أوامر الله . وهكذا فقدنا شركتهما الحلوة مع خالقهما، وليس هذا فحسب بل فقدنا أيضا حياة التمتع بالسعادة والفرح والسلام . وعندها قال الله لأمنا حواء: " تكثيرا أكثر أتعب حبلك. بالوجع تلدين أولادا. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك." (تكوين ٣: ١٦) إن أوجاع الحبل والولادة أنت إذن نتيجة لسقوط حواء في العصيان ، أي أنت كعقاب من الله على عصيانها. وليس هذا فحسب بل إن سيادة الرجل على المرأة كانت أيضا نتيجة للعصيان .

أما بالنسبة لأبونا آدم فقال له الله : " لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلا لا تاكل منها ملعونة الأرض بسببك . بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك . شوكا وحسكا تثبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزك حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب وإلى تراب تعود." (تكوين ٣: ١٧-١٩)

لقد لعن الله الأرض بعد عصيان أبونا آدم، فصارت تثبت له شوكا وحسكا بعد أن كانت مليئة بالخيرات . وعلى الإنسان الآن أن يحصل معيشته بعرق جبينه أي بالتعب والكدح ، بعد أن كان يحصلها بسهولة ويسر . لكن النتيجة الكبرى لعصيان الإنسان أن الله حكم عليه بالموت ، الموت بشقيه الجسدي والروحي . ويعني الموت الانفصال ، أي انفصال الجسد عن الروح ، وإنفصال الإنسان عن الله . لقد كانت نتيجة العصيان ودخول الخطية ، أن انفصل الإنسان عن الله وابتعد عن حضرته ، وهو ما نطلق عليه تعبير الموت الروحي . ولهذا طرد الله الإنسان من جنة عدن، من حضرته، لكي يعيش في أرض اللعنة والشقاء. وعرف الإنسان من يومها الموت الجسدي، لأنك تراب وإلى تراب تعود . فإيا لهذا المصير المؤلم الذي وصل إليه الإنسان نتيجة لعصيانه وسقوطه في الخطية .

لكن السؤال الذي يجدر بنا أن نطرحه هنا : ماذا كان موقف الله الخالق تجاه الإنسان الذي عصى أمره وضل الطريق ؟ هل تركه يعاني وشأنه من هذه النتائج المدمرة ؟ أم حاول أن يفعل شيئا لإنقاذه ؟ سنحاول الإجابة عن هذه التساؤلات في اللقاء القادم إن شاء الله . والتي في الإجابة عنها تكمن أهم الحقائق التي يجب أن يعرفها كل إنسان يسعى جاهدا لخلاص نفسه.